**الموضوع: الإرهاصات التاريخية و الفكرية للعصر الحديث.**

**تمهيد:**

الأدب كائن حي يتأثر بالمؤثرات العامة بيئية و سياسية و اجتماعية و ثقافيةٍّ، و يتصف تاريخ الأدب العربي بتلاحم عصوره، فاللاحق منها يستمد جذوره من العصور السابقة، لذالك نجد أنفسنا ملزمين ـ و نحن ندرس الأدب الحديث ـ مضطرين للإحالة على العصر السابق الذي سبق عصرنا هذا، و المسمى عصر الضعف و الانحطاط و عصر المماليك، و عصر الموسوعات العلمية، لتوضيح ملامحه و إبراز مميزات و خصائص الأدب في هذا العصر:

عصر الضعف و الانحطاط (1258م إلى 1798م): يقسم مؤرخو الأدب عصر الضعف إلى مرحلتين :

1- عصر المماليك: و يشمل الفترة التي حكم فيها المماليك في المشرق العربي منذ 656هـ (1258م)، و الفترة التي حكمت فيها الدويلات المتتابعة في المغرب العربي حتى دخول الأتراك عام 923هـ (1517م).

2- عصر الأتراك: و يبتدئ بعام 923هـ (1517م)، و ينتهي بقدوم الحملة الفرنسية على مصر العام (1213ه الموافق ل:1798م).

كما يجب أن نفرق في هذا العصر بين النهضة العلمية التي كانت نشطة، و النهضة الأدبية التي ضعفت عما كان عليه الأدب في العصور السابقة، حيث أصابه الخمول و الضعف و لم ينل حظا من التقدم مثلما نالته بعض العلوم أو الفنون في عصر المماليك.

و يرجع ضعف الأدب الى الأسباب الآتية:

**أولا:** اضطراب الحياة السياسية.

**ثانيا:** سوء الأحوال الاقتصادية و الاجتماعية.

**ثالثا:** عدم تشجيع الخلفاء و الحكام و ذوي الجاه للشعراء بالمنح و العطايا.

**رابعا**: ضياع مجموعة من الكتب و الدواوين خلال هجمات الصليبين و المغول.

**خامسا**: إلغاء "ديوان الإنشاء" الذي كان كتّابه يقومون بإعداد الرسائل الديوانية بأسلوب أدبي رصين.

**سادسا**: انصراف الشعراء الموهوبين عن قول الشعر، وظهور كثير من المتطفلين الذين لا يملكون مواهب أصيلة و لا يقدرون على التعبير الجيد.

- وقد تميز الأدب العربي و منه الشعر بعدة خصائص نجملها فلما يأتي:

1- قلة الفنون الأدبية في هذا العصر إذا قورنت بالعصور التي سبقته و العصر الحديث الذي لحقه، حيث انحصر النثر في الكتابة الديوانية و النثر العلمي و الرسائل الإخوانية. و في ميدان الشعر اقتصر شعراء عصر الضعف على الشعر الغنائي، و المدائح النبوية كهمزية البصيري، و نظم العلوم كما فعل ابن مالك في ألفيته.

2- ضيق الموضوعات ، حيث غلب على الشعر العربي تياران هما: التيار الديني، و تيار اللهو و المجون.

كما لجأ شعراء هذا العصر إلى التأريخ بالشعر، كأن يستعمل الشاعر كلمات لكل حرف من حروفها رقم حسابي، و مجموع تلك الحروف في الكلمة أو الجملة التي بين علامتي حصر و تنصيص تدل على تاريخ حدث معين، من ذلك مثلا ما قاله الشبراوي في رثاء احمد الدلنجاوي المتوفى العام 1123هـ. حيث أرخ لسنة وفاته بقوله:

**سألت الشعر هل لك من صديق وقد سكن الدلنجاوي لحده؟**

**فصاح و خرّ مغشيا عليه و أصبح ساكنا في القبر عنده**

**فقلت لمن أراد الشعر قصّر فقد أرّخت <<مات الشعر بعده>>.**

و إليك حروف الهجاء مرتبة أبجديا و الرقم الخاص بكل حرف:

أ(1)- ب (2)- ج(3)- د(4)- هـ(5)-و(6)- ز(7)- ح(8)- ط(9)- ي(10)- ك(20)- ل(30)- م(40)- ن(50)- س(60)- ع(70)- ف(80)- ص(90)- ق(100)- ر(200)- ش(300)- ت(400)- ث(500)- خ(600)- ذ(700)- ض(800)- ظ(900)- غ(1000)

وعندما نجمع أرقام أحرف المثال السابق نحصل على:

|  |  |  |  |  |  |  |  |  |  |  |  |  |
| --- | --- | --- | --- | --- | --- | --- | --- | --- | --- | --- | --- | --- |
| 1123هـ | هـ | د | ع | ب | ر | ع | ش | ل | ا | ت | ا | م |
| 5 | 4 | 70 | 2 | 200 | 70 | 300 | 30 | 1 | 400 | 1 | 40 |

3- كانت المعاني قليلة في الشعر و في النثر، وكان الأديب يأتي بحشد كبير من الألفاظ ليعبر عن معنى قليل يكرره.

4- شعور أدباء هذا العصر بعجزهم عن التجديد في المعنى أو التجويد فيه، فاتخذوا من التنميق اللفظي بديلا يفتخرون به، فكثرت المحسنات البديعية في غير موضعها. كما ألزم بعض الشعراء نفسه بما لا يلزم، فنظم " صفي الدين الحلي" مجموعة من القصائد مدح فيها (آل الأرتق) ملوك ديار "بكر بن وائل"، و قد بدأ القصيدة بحرف القاف و التزم به في أول كل بيت و آخره، من ذلك قوله:

**قفي ودّعينا قبل وشك التفرق فما أنا من يحيا إلا حين نلتقي**

**قضيت و ما أودى الحمام بمهجتي وشبت وما حلّ البياض بمفرقي**

وهكذا نرى الأدب العربي في هذا العصر قد اتسم بالركاكة و الإسفاف و التصنع، و استمر على تلك الحالة حتى بداية العصر الحديث، نتيجة عوامل عدة ساعدت على نهوض الشعر العربي من كبوته بعد ضعف و انحدار.

* **الإرهاصات التاريخية و الفكرية للأدب الحديث:**

**1- الجانب التاريخي :**

تبدأ النهضة الأدبية العربية منذ حملة نابليون بونابرت على مصر سنة 1798م. و لقد مر العالم العربي الإسلامي مع مطلع هذا العصر بأحداث تاريخية جسام، تشبه التيار الجارف أو العاصفة العاتية التي تذهل الإنسان، فالدولة العثمانية التي كانت تحكم البلدان العربية أصبحت في حالة يرثى لها حتى وصفت بأنها الرجل المريض الذي أنهكته الحروب و تكالب الدول عليه، بينما أوروبا كانت في أوج قوتها، فحاول الأعداء توجيه اهتمامهم إلى بلدان العالم الإسلامي و لا سيّما البلدان العربية لنهب خيراتها، فغزوها بالقوة و الفكر و الاقتصاد، و ولجوا إليها من جميع النواحي بدعوى حماية الأقلية المسيحية تارة، و بدعوى مساعدة العالم العربي و تعليمه و إنقاضه من تخلفه تارة أخرى.

فبدأ الاستعمار الأوربي بحملة نابليون بونابرت(1798م) على مصر، و جاءت بهدف التعليم الذي منعته الدولة العثمانية، ونقل الحضارة الغربية إلى العالم العربي المتخلف من خلال مصر. و كانت الحملة معدة إعدادا فكريا و علميا أبهرت المصريين، فكوّن نابليون برلمانا (مجلس شورى)، و قام بأنواع التجارب العلمية و التطور التكنولوجي، و أتى بمطبعة اصدر من خلالها صحيفتي (الستار المصري) و (بريد مصر)، وكانت دعواهم أنهم يريدون تنوير بصائر الناس، و قد ثار الأزهريون في وجه هذه الحملة لأنهم أدركوا مغبة ما وراءها.

و هكذا إذا القينا نظرة تاريخية سريعة على حالة البلاد العربية فإننا نجد ما يأتي:

1**- بلدان المغرب العربي:** تخرج من نفوذ الترك لتدخل تحت سيطرت الاستعمار الأوربي الحديث، حيث احتلت فرنسا الجزائر عام 1830م، و مكثت فيها 132 سنة. أما تونس فقد احتلتها فرنسا 1881م. أما مراكش (المغرب) فكان احتلال فرنسا لها عام 1912م.

2**- مصر:** بعد حملة نابليون بحوالي أربعة و ثمانين سنة (84)، احتلت مصر من جديد من طرف الانجليز (1882م)، بعد أن قام الجيش المصري بثورة على" الخديوي توفيق" بقيادة " أحمد عرابي" سنة 1881م، حيث ادعت بريطانيا حماية رعاياها في مصر، فقامت بنشر التعليم باللغة الانجليزية، وألغت اللغة العربية بقيادة "كرومر".

3**- العراق:** في بلاد الرافدين اشتد الصراع بين الأتراك و المماليك و الزعماء المحليين، و دارت الحروب بين سكان الحضر و البوادي، ثم احتلت العراق من طرف الانجليز سنة 1914م.

4**- في بلاد الشام(سوريا، لبنان، فلسطين، الأردن)**: ساد ظلم الحكام المستبدين، و كثرت الخلافات الدينية، و تناحرت الطوائف المذهبية، وكان من أعنف هذا التناحر مذبحة 1860م، فهرب كثير من السكان إلى مختلف بقاع الأرض و خاصة للأمريكيتين الشمالية و الجنوبية و مصر ثم احتلت كلها من طرف الفرنسيين و الانجليز، واختلفت صور الاستعمار من استعمار مباشر إلى حماية أو وصاية أو انتداب، أو ارتباطات اقتصادية أو ثقافية.... و هكذا قسمت البلاد العربية التي كانت تحت راية الخلافة الإسلامية إلى دويلات،وكان هذا التقسيم ناتج عن مؤتمر (سايكس بيكو) بين دول التحالف سنة 1914م، و بعده حدثت نكبة فلسطين و وعد بلفور المشؤوم سنة 1917 م.

**2- الجانب الفكري و الثقافي:**

للنهضة الفكريةو الثقافية العربيةمصدران : مصدر داخلي و مصدر خارجي.

**أ- المصدر الداخلي:** عندما شعر كثير من المصلحين و الثوريين العرب و المسلمين بوطأة الاستعمار الأجنبي يمزق أوصال بلادهم و يعمل على إفساد دينهم و لغتهم، انبرى لصد هذه الهجمات قادة مصلحون من أمثال: جمال الدّين الحسيني الأفغاني (ت.1897م ) و الشيخ محمد عبده (ت.1905م) اللّذين أصدرا مجلة العروة الوثقى الداعية إلى وحدة العالم الإسلامي لمناهضة مخططات الاستعمار. و الشيخ السنوسي الكبير(ت. 1859م) و الشيخ عبد الحميد بن باديس (ت.1940م) .

وقد تأثر الأدب العربي شعره و نثره بهذه اليقظة الفكرية و الوعي الوطني و اثر فيها، فندد الشعراء و الكتاب بالغطرسة الاستعمارية، و حثّوا الشعوب على الثورة ضدها، فذكروهم بماضيهم العربي الإسلامي، فراح الشعراء يستلهمون تاريخه، و يبعثون التراث الأدبي و الفكري في قالب جديد مفعم بالشعور الديني و الوطني، نجد ذلك عند " الرصافي" و " الجواهري" في العراق، و يلهج بذكرها "شوقي" و "حافظ" في مصر، و يدعو اليها "محمد العيد آل خليفة" في الجزائر، و يثور بها "الفيتوري" في السودان، و يتغنى بها "أبو القاسم الشابي" في تونس، و غيرهم كثير من الشعراء في مختلف البلاد العربية.

**ب- المصدر الخارجي:** ويتمثل في الاحتكاك بالحضارة الغربية، مما أدى إلى نهوض الأدب العربي من كبوته نتيجة التأثير و التأثر الحاصل بين البلدان العربية و الدول الغربية، بسبب البعثات العلمية، و ظهور الطباعة و الصحافة، و من ثم تغير الفكر العربي نتيجة هذا التّلاقح فتطور و أصبح تواقا إلى مظاهر الحياة المزدهرة في العالم الغربي.

وقد أسهمت مجموعة من العوامل في النهضة الشعرية العربية الحديثة من أبرزها:

**أولا: العوامل الاجتماعية**: و يتمثل في تحرير المرأة، حيث نادى مجموعة من الكتاب و الشعراء بضرورة تعليم المرأة و تثقيفها، و من أبرزهم رفاعة رافع الطهطاوي، حيث ألف كتابا لتثقيف البنات و البنين، سماه: "المرشد الأمين للبنات و البنين"، و هو كتاب في الأخلاق و التربية و الآداب.

كما ألف كتابه" تخليص الإبريز في تلخيص باريز" ضمنه كل ما أعجب به في العالم المتحضر.

و تكلم قاسم أمين عن تحرير المرأة، و دعاها إلى تمزيق الحجاب و الخروج إلى جانب الرجل و مشاركته في أماكن العلم و العمل، وذلك في كتابيه: "تحرير المرأة " و " المرأة الجديدة".

كما تنبه الشعراء إلى قضايا و مشكلات المجتمع كمشكلة الفقر و الحرمان، و حثّوا أفراد المجتمع على التعاطف، يقول "معروف الرصافي" في قصيدة "أم اليتيم":

**لقيتها ياليتني ما كنت ألقاها تمشي و قد أثقل الإملاق ممشاها**

**أثوابها رثة و الرجل حافية والدمع تذرفه في الخد عيناها**